

حصن عثليث**بناؤه ودوره في الحروب الصليبية**

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي^(*)

ملخص البحث

من المعروف أن الحروب الصليبية مهما تباينت دوافعها وتعددت اسبابها، كانت مجالاً واسعاً التقى به الشرق الإسلامي بالغرب الأوربي في حقبة العصور الوسطى، في مختلف النواحي الحربية والحضارية وعلى أوسع نطاق، وقد ظهرت فيما بعد نتائج عدة لتلك الحروب، ومن أبرزها تطور فنون القتال وأساليبها، وذلك بفعل الصراع العسكري بين الطرفين في وقائع ومعارك قتالية مستمرة، ويعد بناء الحصون والقلاع في الشرق، وخاصةً في المناطق الجبلية والساحلية، والاهتمام بتحصينها من أجل تعزيز قدرتها على الصمود بوجه الأخطار الخارجية، من الأساليب الدفاعية، فكان بناء حصن عثليث في سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م من نتائج الحروب الصليبية بشكل عام، والحملة الصليبية الخامسة بشكل خاص، التي قادها ملك بيت المقدس الصليبي جان دبرين (٦١٥ - ٦١٨ هـ / ١٢١٨ - ١٢٢١م) لغزو مصر.

استمد حصن عثليث أهميته وشهرته من موقعه الجغرافي المتميز، وحصانته الكبيرة، مما أهله ليكون احد الموانئ الفلسطينية المهمة، إذ تحكم بوصول الإمدادات من الغرب إلى الصليبيين في بلاد الشام في الحقبة الأخيرة من الحروب الصليبية، فهو يقع على الطريق الساحلي الذي يصل حيفا بقيسارية، وسمي بقلعة الحجاج كما أطلقت عليه الحوليات الصليبية، وعلى ما يبدو أن القلعة سميت بهذا الاسم نسبة إلى الحجاج النصاري الذين يصلون إليها من أوروبا متوجهين إلى بيت المقدس، أو ربما لإيوائها للحجاج النصاري وتقديمها الخدمة والعلاج لمرضاهم في بادئ الأمر، بينما أطلق عليه ياقوت الحموي في

(*) قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل.

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

معجمه تسمية الحصن الأحمر، ولم يبين سبب تسميته بهذا الاسم، ولكنه ربما أطلق هذه التسمية بسبب لون بنائه، أي انه كان قد بني من حجارة ذات لون احمر. بعد أن تم الاتفاق النهائي على بناء حصن عثليث، اوكلت تلك المهمة إلى هيئة الداوية، فاستأنفوا عملية البناء في سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، وانجزت المهمة في السنة ذاتها، ولعب الحصن دوراً كبيراً في عصر الحروب الصليبية، حيث اصبح المركز الرئيس لهيئة الداوية في أيامها الأخيرة، وبقي حتى العصر المملوكي الاول. فلما رأى الداوية في حصن عثليث خلو الساحل الشامي من الصليبيين، بادروا إلى اتباع سياسة الأرض المحروقة والتخريب، فاحرقوا الحواصل والمزارع المحيطة بالحصن، لكي لا يتركوا أي شئ يمكن للقوات المملوكية الاستفادة منه والتقوي به، وهربوا جميعاً عن طريق البحر، فدخله المسلمون عنوة في ٦ شعبان ٦٩٠ هـ/٤ آب ١٢٩١م، بعد ان بقي لفترة استمرت خمسة وسبعون عاماً، لم يبق للصليبيين على ساحل البحر حجراً على حجر، وُطهرت جميع الأراضي العربية الإسلامية في بلاد الشام من الوجود الصليبي بشكل نهائي، ثم عاد السلطان الاشرف خليل بعدها إلى القاهرة، وأقيمت مراسيم الاحتفال ابتهاجاً بهذه الفرحة العظيمة والنصر الباهر.

ABSTRACT

As Known that the Cross Wars even if it is different in their aims , it was very good chance for the meeting between Islamic east and European west During the Middle ages era , in the different Civil and war fields , after that many results of these wars are seemed , the focus one is developing of fighting and their ways that is because the military conflict between the two sides during the fighting battles , the building Castle in the east considered from the defence ways So this building of Castle (Athileeth)(615 A.H/1218A.D)considered as are results of the Cross war in general and the fifth Cross war praticully which Jerusalem King leading it (the Cross Jan Dibreen(615-618A.H/1218-1221A.D)to invade Egypt.

Athileeth Castle having its importance and its renown from its Geographic state and its big Castle which make it one of the most important of the Palestinian airport and mak it the only way to arrive the goods from the west to the Cross in Al sham country during the

last period of the Cross war , being at coatstal road which attaching between Hyfa and Kaisaria.

When the final agreemant has been Fixad above the building of Athileeth Castle , this mission give to Al-Dawiya institution , this institution complete the building during the year(615A.H/1218A.D) and finished the mission at this year it self after that it become the main center of Al-Dawiya mission during its last days , they remain tell Al Mamloki era , when Al-Dawiya seen in the Athileeth Castle that Alshami coast become emty from the Cross , they escape by the road sea , then Islamic People entered it forcibly at sixth of shahban of (690A.h , the fourth of August 1291 A.D) after that it rimain for aperiod it continue about seventy five years, and the Cross lost every thing anthe Coast sea , and then All the Arabic –Islamic earths from Al-sham country had been purify from the available of the Cross after that AlSultan Al-Ashraf Khalil came back to Cairo , and they make the ceremonies of the party as arejoicing to this great happiness and victory

من المعروف أن الحروب الصليبية مهما تعددت أغراضها وتباينت دوافعها، كانت قبل كل شئ مجالاً واسعاً التقى به الشرق الإسلامي بالغرب الأوربي في حقبة العصور الوسطى^(١)، في مختلف النواحي الحربية والحضارية وعلى أوسع نطاق، مما كان له الأثر الأكبر في ظهور حركة تأثير وتأثر لكل من الوطن العربي وأوربا على حد سواء، وقد ظهرت فيما بعد نتائج عدة لتلك الحروب، ومن أبرزها تطور فنون القتال وأساليبها، وذلك بفعل الصراع العسكري بين الطرفين في وقائع ومعارك قتالية، ويعد بناء الحصون والقلاع في الشرق، وخاصةً في المناطق الجبلية والساحلية، والاهتمام بتحصينها من اجل تعزيز قدرتها العسكرية على المقاومة والصمود بوجه التحديات الخارجية التي تهددها، من الأساليب الدفاعية، فكان بناء حصن عثليث في سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م من نتائج الحروب الصليبية بشكل عام، والحملة الصليبية الخامسة بشكل خاص، التي قادها ملك بيت المقدس الصليبي جان دبرين (٦١٥.٦١٨هـ / ١٢١٨.١٢٢١م) لغزو مصر^(٢).

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

انتشرت الفوضى السياسية والصراع على تولي السلطة في الدولة الأيوبية بعد وفاة الناصر صلاح الدين الأيوبي في ٢٧ صفر سنة ٥٨٩هـ/٤مايس ١١٩٣م^(٣) ، وعندما حاول شقيقه الملك العادل حاكم مصر جمع شمل البيت الأيوبي، أدرك الصليبيون انه بدأ يشكل خطراً على وجودهم في بلاد الشام، لما أبداه من تحول مفاجئ من سياسة الدفاع إلى سياسة الهجوم، واهتمامه ببناء الحصون والمعازل^(٤)، فأستغل الملك جان دبرين هذه الظروف موجهاً الدعوة للبابا انوسنت الثالث، الذي اشتهر بحماسة الشديد لاسترداد بيت المقدس من المسلمين^(٥)، طالباً منه إعداد حملة صليبية تكون مستعدة للانطلاق إلى الشرق في سنة ٥١٤هـ/١١١٧م، ولغرض تأمين وصول الحملة الصليبية الخامسة، اجتمع الزعماء الصليبيون في بلاد الشام، بما فيهم الملك جان دبرين وليوبولد امير استريا وبعض الزعماء الآخرين، واستقر رأيهم على تحصين مدينة قيسارية^(٦)، وبناء قلعة ضخمة في منطقة عثليث الواقعة إلى الجنوب من يافا وعلى جبل الكرمل^(٧).

استمد حصن عثليث أهميته وشهرته، من موقعه الجغرافي الفريد والمميز، فضلاً عن تمتعه بحصانة نادرة، مما أهله ليكون من الموانئ الفلسطينية المهمة، إذ تحكم بوصول الإمدادات من الغرب إلى الصليبيين في بلاد الشام في الحقبة الأخيرة من الحروب الصليبية، فهو يقع على الطريق الساحلي الذي يصل حيفا بقيسارية^(٨)، وسمي بقلعة الحجاج كما أطلقت عليه الحوليات الصليبية (*castrum peregrinorum*)^(٩)، وعلى ما يبدو أن القلعة سميت بهذا الاسم نسبة إلى الحجاج النصارى الذين يصلون إليها من أوروبا متوجهين إلى مدينة القدس، أو ربما لإيوائها للحجاج النصارى وتقديمها الخدمة والعلاج لمرضاهم في بادئ الأمر، بينما أطلق عليه ياقوت الحموي^(١٠) في معجمه تسمية الحصن الأحمر، ولم يبين سبب تسميته بهذا الاسم، وربما يعود سبب ذلك لون بنائه، بالحجارة ذات اللون الاحمر، وأدى هذا الحصن دوراً كبيراً في عصر الحروب الصليبية، حيث اصبح المركز الرئيس لهيئة الداوية في أيامها الأخيرة^(١١).

وبعد أن تم الاتفاق النهائي بين الامراء الصليبيين على بناء حصن عثليث، اوكلت تلك المهمة إلى هيئة الداوية، فاستأنفوا عملية البناء في سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م^(١٢)، بينما يشير ياقوت الحموي^(١٣) إلى انه كان من فتوح الناصر صلاح الدين سنة

٥٨٣هـ/١١٨٦م، فهو يختلف في روايته هذه عن الرواية الأولى، إلا انه وقع في اللبس عندما ذكر ذلك، وربما يقصد بهذا فتح المنطقة التي أقيم عليها الحصن فيما بعد، إذ كانت تسمى هذه المنطقة بعثليث نسبة إلى مدينة عثليث الموجودة فيها، ومما يدعم هذا الرأي ما ذكره ابن عبد الظاهر^(١٤)، عندما يورد نص الهدنة المعقودة وبين هيئة الداوية والملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٧٨.٦٧٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م حيث يقول: ((وعثليث القلعة والمدينة)) فهو يؤكد من خلال هذا النص على وجود مدينة عثليث التي بني الحصن المنسوب اليها ضمن نطاق حدودها، أو بالقرب منها خلال فترة السيطرة الصليبية عليها.

كما اشترك إلى جانب هيئة الداوية في بناء الحصن هيئة صليبية أخرى لا تقل دوراً عن الداوية في الحروب الصليبية، وهي هيئة الفرسان الاستبارية^(١٥)، الذين اسهموا إسهاماً كبيراً في بنائه وتحصينه، ومما يروى انهم عثروا في أثناء عملية الحفر لتوطيد أسس الحصن على كميات كبيرة من العملة الذهبية، التي لم يتوصلوا إلى تاريخ سكها، فاستغلها الصليبيون في دفع رواتب جنودهم، بعد أن قاموا بعملية صهرها وسكها على طريقتهم الخاصة، وبعد أن قام الصليبيون بتحسين مدينة قيسارية، وبناء حصن عثليث انسحبت قواتهم نحو مدينة عكا، واستقرت فيها بانتظار وصول قوات صليبية أخرى من أوروبا، فضلاً عن ذلك أصبحت عكا مركزاً لهم يتدربون فيه ويخططون للهجوم على مدينة دمياط^(١٦) تمهيداً لغزو مصر بأكملها^(١٧).

ان رواية اكتشاف العملة الذهبية اثناء عملية الحفر وبناء الحصن، خير ما يؤيد الرواية التي اوردها ابن عبد الظاهر على وجود مدينة عثليث التي نسب اليها الحصن، وان المدينة هي التي كانت من فتوح صلاح الدين وليس الحصن نفسه.

بعد أن تم الاتفاق على المنطقة النهائية في ٢٦ صفر سنة ٦١٥هـ/٢٤مايس ١٢١٨م، صدرت الأوامر إلى القوات الصليبية المتمركزة في مدينة عكا بقيادة جان دبرين ملك القدس بالتوجه جنوباً نحو حصن عثليث، الذي أنشئ أساساً لخدمة الأهداف الصليبية، وخاصة لتأمين وصول الحملة الصليبية الخامسة كما أشرنا آنفاً، وكان الهدف

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

الرئيس من انطلاق الحملة إلى عثليث هو إجراء الاستعدادات النهائية، فضلاً عن الحصول على مؤن إضافية قبل انطلاق الحملة إلى مصر^(١٨).

وصل رجال الحملة إلى حصن عثليث الساحلي وتم الاتفاق على موعد التوجه نحو مصر، وعلى الرغم من حلول الوقت المتفق عليه، إلا أن بعض السفن لم تكن قد جهزت للانطلاق، مما أدى إلى رحيل السفن المستعدة للانطلاق نحو مدينة دمياط الواقعة جنوب القاهرة في ٢٦ صفر / ٢٤ مايس من السنة ذاتها^(١٩)، بينما بقي الملك جان دبرين ورؤساء كل من هيئتي الداوية والاسبتارية، ومعظم رجال الدين في حصن عثليث، من أجل إكمال استعداد السفن المتبقية^(٢٠)، بينما يشير أبو شامة^(٢١) إلى أن هبوب رياح عاتية اجبر القسم الأكبر من سفن الحملة على البقاء في ميناء عثليث، وتحركت سفن قليلة باتجاه مصر.

إن هذه الرواية هي الأرجح قياساً بالرواية الأولى لأن فترة إنهاء الاستعدادات لعدد كبير من السفن، لا يمكن أن يتم خلال يومين أو ثلاثة أيام، ولكن هبوب الرياح قد يكون أقل من هذه المدة، مما أدى إلى إكمال بقية السفن مسيرتها إلى مدينة دمياط.

وصلت السفن التي أبحرت في بداية الأمر إلى الساحل المقابل لمدينة دمياط في أواخر صفر / ٢٧ مايس ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، إلا أنهم لم يغامروا في النزول إلى البر، وذلك لعدم وجود شخصية قيادية معينة من قبل الملك جان دبرين^(٢٢)، فضلاً عن قلة المقاتلين الصليبيين الموجودين على متن هذه السفن^(٢٣)، مما اضطرهم إلى البقاء في عرض البحر لمدة يومين لعدم وصول بقية الأسطول الصليبي، مما دفعهم إلى اختيار قائد لهم، فوقع الاختيار على الكونت سيمون أوف ساربروكن، فأمر بإنزال القوات إلى الضفة الغربية لنهر النيل، والتي تعرف بجيزة دمياط في ٢ ربيع الأول / ٢٩ مايس، فكان اختيار هذا الموقع موفقاً، وأقاموا معسكرهم في هذا الجانب، لانتظار وصول بقية السفن^(٢٤).

أما بقية سفن الحملة التي تأخرت في عثليث، فقد أبحرت متوجهة إلى دمياط في ٢٧ صفر / ٢٩ مايس، أي بعد ثلاثة أيام من رحيل السفن الأولى، وعلى رأسها الملك جان دبرين، وباشرة جنودها بالنزول إلى البر في نفس المنطقة التي نزلت فيها مقدمة الحملة^(٢٥)، كما رافق الملك جان دبرين كل من أمير النمسا ليوبولد ووليم أوف بواسيه

مقدم فرسان الداوية، فضلاً عن رئيس هيئة الفرسان الاسبتارية، وهكذا كان لفرسان الداوية المقيمين في حصن عثليث دوراً كبيراً، من خلال مشاركتهم في الحملة الصليبية الخامسة، وخاصةً بعد أن أصبح حصنهم القاعدة الأساسية لانطلاق الحملة إلى مصر^(٢٦).

لقد كان رد الفعل الإسلامي في مصر على هذا الاعتداء عنيفاً جداً، فقد أبدت مدينة دمياط مقاومة بأسلة من اجل إفشال هذه الحملة والقضاء على جنودها، أما عن الموقف الإسلامي في بلاد الشام، فقد وقف الشاميون إلى جانب إخوانهم في مصر، إذ اتجه الملك الأفضل ابن الملك العادل صاحب دمشق من مصر إلى بلاد الشام من اجل تحقيق هدفين رئيسيين الأول حشد اكبر عدد ممكن من القوات الشامية وإرسالها إلى مصر لنجدة أبيه الملك العادل، والهدف الثاني للضغط على الصليبيين المحاصرين لمدينة دمياط، من خلال مهاجمة مناطق نفوذهم في بلاد الشام وخاصة مدن الساحل، وبالتالي التخفيف من الضغط الصليبي على دمياط، وارجامهم على سحب قسماً من قواتهم المحاصرة للمدينة من اجل إنقاذ ممتلكاتهم في بلاد الشام^(٢٧)، إلا أن وفاة الملك العادل في جمادى الآخرة سنة ٦١٥هـ/٣١ آب ١٢١٨م كان له اثر كبير على سير الأحداث، واضطراب الأوضاع الداخلية في مصر^(٢٨)، فضلاً عن قلة المؤن والإمدادات، وانتشار الأوبئة والأمراض في المدينة أدى إلى استسلامها في ٢٧ شعبان ٦١٦هـ/٥ تشرين الثاني ١٢١٩م مقابل منحها الأمان، إلا أن الصليبيين سرعان ما نكثوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم للسكان المسلمين، فقتلوا واسرؤا، وحولوا مسجدها إلى كنيسة، وارسلوا المصاحف ورؤوس القتلى إلى بلادهم^(٢٩).

وفي المقابل حاصر الملك المعظم عيسى بن العادل مدينة قيسارية في ذي الحجة ٦١٦هـ/آذار ١٢٢٠م، مستصحباً معه عدة ضخمة من آلات الحصار، ولم يكن لدى الصليبيين في بلاد الشام عندئذ ما يمكنهم من الدخول في معركة كبيرة ضد المسلمين^(٣٠)، ويرجع ذلك إلى أن معظم قواتهم قد توجهت إلى مصر لاحتلال مدينة دمياط، واستمر الحصار أربعة أيام بلياليها، وعندما أدرك سكانها من الصليبيين عدم جدوى المقاومة للقوات المحاصرة، اضطروا إلى تسليم المدينة للمسلمين، مقابل منحهم عهد أمان للخروج منها، فدخلها الملك المعظم بقواتها ودمر قلعتها تدميراً كاملاً^(٣١)، لكي لا يتسنى للصليبيين

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

الاستفادة منها فيما بعد، وما أن انتهى الملك المعظم من فتح مدينة قيسارية حتى توجه بنفسه على رأس قوات كبيرة نحو حصن عثليث، لكي ينزل به ما انزل بمدينة قيسارية من فتح وتخريب تحصيناتها، إلا أن القلعة الرئيسة لحصن عثليث كانت على قدر كبير من المنعة والحصانة، مما مكنها من مقاومة الحصار الذي فرضه المسلمون عليها، وزاد من تصميم سكانها على المقاومة وعدم الاستسلام، فكان ذلك سبباً في عدم مقدرة المسلمين على النيل منها^(٣٢)، هذا فضلاً عن الإمدادات الصليبية التي وصلت لنجدها من الصليبيين المقيمين في دمياط، ومناطق بلاد الشام الأخرى، إذ قام الداوية بالانسحاب من دمياط متوجهين إلى حصن عثليث، من أجل إنقاذه من الحصار الأيوبي المفروض عليه^(٣٣)، كما أن قيام السكان بخزن كميات كافية من المواد الغذائية والمياه كي تمكنهم من مقاومة حصار طويل الأمد، كان لها دور كبير في عدم استسلام حصن عثليث^(٣٤).

إن هذه العوامل مجتمعة كانت وراء فشل الحصار الأيوبي لحصن عثليث، فانسحبت القوات الأيوبية دون الاستيلاء عليه، على الرغم من المحاولات المتكررة التي قام بها الملك المعظم من أجل فتح ثغرة في سوره لتمكن القوات من اقتحامه، ومع أن الهجمات الإسلامية لم تحقق غرضها في بلاد الشام بشكل كبير، وخاصةً أمام حصن عثليث، إلا أنها نجحت في تحقيق عدة أهداف كان لها الأثر الأكبر في تلك الأحداث، أولها: حرمان القوات الصليبية المحتلة لدمياط من الإمدادات والمؤن التي تصلها من بلاد الشام، وثانيها: إجبار قسم من القوات الصليبية كالدواوية على الانسحاب من دمياط إلى حصن عثليث من أجل فك الحصار الأيوبي عنه، وثالثها: النزاع الذي نشب بين المندوب البابوي الكاردينال بلاجيوس والملك جان دبرين في مصر بسبب تنافسهم على منصب قيادة الحملة^(٣٥) أدى إلى رحيل الأخير عن دمياط، تحت ذريعة قيام القوات الأيوبية بمهاجمة كلا من قيسارية وحصن عثليث، مما كان له أثر مباشر في فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر^(٣٦).

وفي الوقت ذاته أدت القوات الإسلامية في مصر دوراً كبيراً في رد الاعتداء الصليبي على أراضيها، من خلال المقاومة التي أبدتها بقيادة الملك العادل، ومن ثم ولده

الكامل، مما أدى بالتالي إلى انسحاب القوات الصليبية عن دمياط وتسليمها للمسلمين في يوم الخميس ١٩ رجب^(٣٧) ٦١٨ هـ / ٨ ايلول ١٢٢٢ م^(٣٨).

بقي حصن عثليث تحت سيطرة الداوية ونفوذهم، واهتموا بتحصينه والذود عنه، وخاصةً أن الاهتمام الصليبي بالحصون والقلاع كان قد ازداد في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، إذ أحدثوا بعض التغيرات في تصميم القلاع، لكي يمكنها من مواجهة الأخطار الخارجية، فأخذوا بتشييد البرج المتوسط الذي يعد امانع جانب في القلعة، وذو شكل دائري، وذلك لأن السطح المدور كان بالغ الصلابة فيما يتعرض له من قذف الحجارة بالمنجنقات، فضلاً عن إقامة الأسوار المزدوجة^(٣٩)، التي بلغ ارتفاعها ٥٠ قدماً وبلغ سمكها ٢٠ قدماً، وحُفِرَ خندق بلغ عرضه اربعين قدماً، وعمقه عشرة اقدم^(٤٠) ونظراً لأن حصن عثليث كان واحد من أهم الحصون الصليبية التي أقيمت من اجل هدف عسكري، فانه صمم لإيواء عدة آلاف من المقاتلين والخدم الملازمين لهذا العدد من المقاتلين^(٤١).

وعندما وصلت الحملة الصليبية الألمانية بقيادة الإمبراطور فردريك الثاني إلى بلاد الشام في سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م، دخل الإمبراطور إلى القدس، وتوج نفسه ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية في كنيسة القيامة، وبحضور كل من مقدم الداوية ومقدم الاستبائية، الذين سعوا جاهدين من اجل كسب ود ورضا الإمبراطور فردريك الثاني، وعملوا على التقرب منه، كما دعا الإمبراطور والملك المتوج جميع ممثلي المملكة في اليوم الثاني من دخوله لتقديم تقريراً لهم عن أعماله، التي لم تلق إلا الرفض لأنهم عدوه مغتصب لعرش المملكة، وان تتويجه غير شرعي، مما اضطره إلى استخدام القوة معهم، ووضع حرساً حول قصر كل من البطريرك ومقدمي الداوية والاستبائية^(٤٢).

انتشرت الإشاعات التي تقول بان الإمبراطور فردريك الثاني قد نوى مصادرة حصن عثليث الكبير الذي تعود ملكيته للداوية، وانه قد عزم على هدمه من اجل توجيه ضربة للداوية، غير ان الإمبراطور عدل عن القيام بمثل هذا العمل بمجرد معرفته بأحوال الحصن، وبما يتمتع به من قوة وحصانة، لاسيما انه كان مشحوناً بحامية كبيرة من رجال الداوية، لذا فقد فكر باتخاذ إجراء آخر لا يقل أهمية عن الأجراء الأول، وهو اختطاف كل

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

من مقدم الداوية حاكم حصن عثليث وحننا دي ابلين حاكم بيروت ونفيهم خارج بلاد الشام، غير أن كل منهم كان قد اتخذ الاحتياطات اللازمة، وأحاط نفسه بحرس لغرض حمايته، لذلك لم يجرؤ الإمبراطور على القيام بمثل هذا العمل لأنه يعد مخاطرة، إذ انه سيثير غضب كل من هيئة الداوية والصليبيين من اتباع حاكم بيروت^(٤٣)، كما قام الإمبراطور فردريك الثاني بعقد صلحا مع الملك الكامل الأيوبي، إلا أن هذه الصلح لم يلق ترحيباً من لدن المسلمين والصليبيين على حدٍ سواء^(٤٤).

لقد كان لسوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية، التي سادت أوربا^(٤٥) والتي لم تعد تسمح بإرسال الإمدادات إلى الصليبيين في الشرق، فضلاً عن عودة الإمبراطور فردريك الثاني إلى بلاده، دوراً كبيراً في إنهاء القوى الصليبية في بلاد الشام، وأودى بالبقية الباقية منها، كما أن الأوضاع السياسية المضطربة التي عمت الدولة الأيوبية، لأسيما مرحلة الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأيوبي وخاصة في بلاد الشام، حيث دفع ذلك الصراع بعضهم إلى التحالف مع الصليبيين ضد الطرف الآخر^(٤٦)، مما اضعف الأمة وأنهكها، ولم تعد قادرة على التصدي للأخطار الخارجية بالشكل المطلوب، فأركنها ذلك إلى الهدوء، فضلاً عن ظهور المغول كقوة غازية هددت كلاً من الصليبيين والمسلمين، فادى ذلك إلى فتور العلاقات بين الطرفين، وعدم نشوء مجابهات عسكرية على مستوى كبير، واستمر هذا الوضع حتى قيام دولة المماليك في مصر سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، التي أفرزتها التطورات السياسية التي شهدتها الجبهة الإسلامية آنذاك، لتقوم بدورها التاريخي في القضاء على الوجود الصليبي، وما أن قامت الدولة المملوكية حتى أخذت على عاتقها القيام بمهمة تحرير الأراضي العربية الإسلامية من الاحتلال الصليبي والمغولي معاً، فأجهزوا عليهما دون أن تتمكن أوربا من تقديم الدعم والمساعدة لهم، ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) تم توحيد كل من مصر وبلاد الشام^(٤٧)، وفي مطلع سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م دخل الظاهر في عمليات عسكرية واسعة ضد إمارات ومدن الساحل الصليبية، ففي شهر رمضان / كانون الأول من السنة ذاتها وجه السلطان الظاهر قواته إلى بلاد الشام، وأهم بالغارة على كل من مدينة قيسارية وحصن عثليث، فهاجمت هذه القوات حصن عثليث وضربت حوله الحصار لعدة أيام، إلا انه دون جدوى، سوى اسر

وقتل عدد كبير من أفراد الداوية من سكان منطقة عتليث، وغنمت في الوقت ذاته كميات كبيرة من الأموال والمؤن وانسحبت من عتليث باتجاه مدينة قيسارية، وفعلت بها كما فعلت بحصن عتليث^(٤٨).

سارع الداوية إلى توحيد جهودهم مع فرسان الاسبتارية في ارسوف^(٤٩)، وقيسارية، وكان ذلك كحركة رد فعل على غارات القوات المملوكية على مناطق نفوذهم في عتليث وقيسارية، وهاجموا في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م حصن ليزون الصغير المعروف باسم مجدو، ثم قامت الطائفتان بعد عدة شهور بهاجمة مدينة عسقلان متخذين من حصن عتليث مقراً لهم، ورد المسلمون على تلك الغارات بان شددوا في عمليات الهجوم على مدن وقرى الصليبيين الواقعة إلى الجنوب من جبل الكرمل، ووقعوا بها خسائر مادية وبشرية فادحة، إلى درجة أن الحياة أصبحت غير مأمونة فيها^(٥٠).

أدرك الظاهر أن المناوشات والهجمات المحلية على الصليبيين، لم تعد مجدية وكافية لردعهم والحد من أطماعهم التوسعية، ولتحقيق هذا الغرض لابد من القيام بحملة عسكرية شاملة^(٥١) تشمل قواهم، وتوقفهم على مدى قوة الدولة المملوكية التي اصبح بإمكانها إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام، فجهز السلطان الظاهر القوات وسار بنفسه على رأسها في ٢٦ جمادى الأولى من السنة ذاتها^(٥٢)، فوصل إلى حصن عتليث، الذي كان الهدف الرئيس لهذه الحملة في ٢٧ جمادى الأولى، فأمر بتخريب كل ما هو محيط بحصن عتليث من قرى وقطع أشجارها، فقطعت جميعها وخربت أبنيتها في يوم واحد، ثم انسحب عنها السلطان^(٥٣).

على الرغم مما حل بحصن عتليث . المقر الرئيس للداوية . من خراب إلا انهم لم يعتبروا من ذلك، فكرر الداوية العدوان، من خلال تعاونهم مع المغول للقيام بالغارات على الأراضي العربية الإسلامية المجاورة، وبدأوا بالأعمال العدوانية ضدها، مما حدا بالسلطان الظاهر في مستهل سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م إلى الخروج على رأس جيش كثير العدد والعدة للرد على الاعتداءات الصليبية المغولية على شمال بلاد الشام، إلا أن نجاح القوات الشامية برد تلك الهجمات بجدارة دفعه إلى تغيير وجهته نحو الجنوب، بعد أن اصبح بوسعه استخدام قواته في مهاجمة مناطق نفوذ الصليبيين في تلك الناحية، فتظاهر السلطان

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

الظاهر بيبرس بحملة صيد في التلال الواقعة خلف ارسوف، وظهر فجأة أمام مدينة قيسارية، فسقطت المدينة فوراً دون مقاومة^(٥٤)، بينما سقطت القلعة التابعة للصليبيين بعد مقاومتها سبعة أيام، في وجه القوات المملوكية، ولكنها اضطرت إلى طلب الأمان من الظاهر بيبرس مقابل تسليم المدينة، فسمح السلطان لحاميتها بالخروج في نهاية الأمر دون أن تتعرض لأي أذى، وأمر بتدمير تلك القلعة وتسويتها بالأرض، لكي لا يتسنى للصليبيين الاستفادة منها كموقع حصين إذ ما وقعت تحت سيطرتهم، ومنها توجه إلى مدينة حيفا، وبعد عدة أيام من المقاومة استسلمت المدينة بعد أن أدركت عدم جدوى المقاومة، ودمرت قلعتها عن آخرها^(٥٥).

وفي أثناء ذلك هاجم الظاهر حصن عثليث، وركز في هذه المرة على قلعته الضخمة التابعة للداوية، فامر باحراق القرية الواقعة خارج السور الرئيس للحصن. أما القلعة الحصينة فإنها نجحت في مقاومة حصار القوات المملوكية، وفي ٢٧ آذار من السنة ذاتها تخلى الظاهر عن حصارها، وتوجه نحو ارسوف التي سبق للاستتارية أن حصنها وشحنوها بالرجال والمؤن تحسباً لأي هجوم مملوكي^(٥٦)، ولكنه نجح في نهاية الأمر في الاستيلاء على المدينة دون قلعتها التي استعصت عليه^(٥٧)، فانسحب عنها عائداً إلى مصر، وبالرغم من انسحاب السلطان الظاهر، إلا أن فتح حصن عثليث ظل الهاجس الذي يراوده، فقد أمر قائده ناصر الدين القيمري في السنة ذاتها بالغارة على حصن عثليث^(٥٨)، فقام بعملية تعرض بسيطة على باب حصن عثليث، وقتل واسر عدداً من الصليبيين، إلا أن هذه المحاولة كانت نتيجتها الفشل كسابقاتها^(٥٩).

لقد شغل السلطان الظاهر كثيراً في أمر القضاء على بقايا الوجود الصليبي في بلاد الشام، إذ لم يبق ضمن دائرة نفوذهم سوى حصن عثليث التابع لنفوذ الداوية، فضلاً عن مملكة عكا وتوابعها وطرابلس ومدينة يافا التي كانت في حوزة جاي حنا دي بليين حاكم بيروت، الذي ظل والده دائماً موضع احترام المسلمين حتى وفاته في سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م، ولم يتمتع ولده جاي بنفس المكانة التي كانت لوالده، كما أن المدينة لم تكن في حالة تسمح لها بالدفاع عن نفسها، مما شجع الظاهر على الخروج لمهاجمتها في سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م، ونجح في إسقاطها بعد وصوله إليها باثنا عشرة ساعة^(٦٠). أما فيما يتعلق

بحسن عتليث فقد دخل ضمن الصلح الذي عقد في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، بين السلطان الظاهر والصلبيين، عندما وافق السلطان على طلب ملك عكا الصليبي حول عقد صلح بين الطرفين، فاستقبل الرسل الذين ارسلهم هذا الملك، وقبل الهدايا المرسله معهم، كما تم الاتفاق بين السلطان والملك الصليبي على مدينة عكا والمناطق التابعة لها، وبالبلغه احدى وثلاثون ضيعة. أما فيما يتعلق بمدينة يافا فقد ابقى لها ثلاث ضياع وما بقي منها مناصفة، وتناصف الطرفان بلاد الكرمل، في حين منحت عتليث خمس قرى والباقي مناصفة بين السلطان والداوية، وعلى ان تكوين مدة الهدنة عشرة سنين، فضلاً عن شروط اخرى كانت ضمن هذا الاتفاق^(٦١).

وعلى ما يبدو ان السلطان الظاهر هدف من وراء موافقته على عقد الصلح مع الصليبيين الى كسب الوقت لمواجهة الاخطار الخارجية الاخرى كالمغول والارمن الذين كثرت غاراتهم على بلاد الشام، لكي يتسنى له التفرغ لتوجيه ضربات قاصمة لهم، ومن ثم التوجه لانهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام.

إن الهجمات المملوكية على مناطق نفوذ الاستبارية اضعف هذه الهيئة العسكرية وافقدها أهميتها، وخاصة بعد التحرير المملوكي لحصن الأكراد^(٦٢) المقر الرئيس لها في سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م، الذي فتح عنوة على يد السلطان الظاهر^(٦٣)، ولم يبق في حوزتها سوى حصن المرقب^(٦٤) الضخم، وخير ما يعبر عن ذلك بشكل دقيق ويصف ضعف هيئة الاستبارية وقوة الداوية في بلاد الشام ما كتبه مقدم الاستبارية هيو ريفيل إلى البابا في سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م قائلاً له: ((انه لم يعد في وسع الطائفة [الاستبارية] سوى أن تنفق على ثلاثمائة فارس في الشرق الإفرنجي بعدما كان لديها في الأيام السابقة عشرة آلاف فارس، على إن الداوية لازالوا يمتلكون مقر قيادتهم في انطرسوس فضلاً عن صيدا وقلعة عتليث الضخمة، وما زاد من قوتهم ما كان لهم من صلة مع جميع البلاد الواقعة شرق البحر المتوسط))^(٦٥).

استمر الضغط المملوكي على الممتلكات الصليبية في بلاد الشام، من خلال الضربات المتتالية طيلة عهد السلطان الظاهر، وخاصة تلك الهجمات التي وجهها إلى حصن عتليث الذي اتخذته القوات الصليبية [الداوية] قاعدة لها للإغارة على مناطق نفوذ

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

المسلمين في بلاد الشام، إذ أغار الداوية في سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م من مقرهم في عثليث على جماعة من التركمان في البلاد المجاورة، وغنموا واسروا عدداً منهم، إلا أن وصول قسم من عسكر السلطان نجح في فك أسرهم من أيدي الداوية، لكنهم لم يلبثوا أن أغاروا مرة أخرى على ناحية الفرما القريبة من ساحل البحر المتوسط على اطراف سيناء، فلحق بهم عسكر السلطان واسر منهم عشرين فارساً^(٦٦).

كان لوفاة السلطان الظاهر بيبرس في منتصف محرم سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، وازدياد الصراع الداخلي على السلطة بين الأمراء المماليك وقعاً كبيراً في الأوضاع السياسية، لعدم وجود خلفاً قوياً له^(٦٧)، مما أدى إلى انشغال المماليك في النزاعات الداخلية بدلاً من الاهتمام بالأخطار الخارجية وخاصةً مواجهة الخطر الصليبي في بلاد الشام، فبقي السبات المملوكي تجاه الصليبيين حتى تولى السلطان المنصور قلاوون^(٦٨)، الذي عمل جاهداً في بادئ الأمر على تأمين الجبهة الداخلية، ومن ثم التوجه لدرء الأخطار الخارجية، إن هذا الأمر كان الدافع الرئيس الذي حفز المنصور قلاوون على عقد هدنة في ربيع الأول سنة ٦٨٢هـ/٣ تموز ١٢٨٣م مع الصليبيين من أجل كسب الوقت اللازم للاستعداد من أجل ضرب مناطق النفوذ الصليبي في بلاد الشام^(٦٩).

لقد مثل الجانب الصليبي في هذه الهدنة كلاً من قومون^(٧٠) عكا ومقدم الداوية في حصن عثليث وصيدا، وتُرجمت هذه الهدنة على أن يكون للصليبيين المنطقة الممتدة من درج صور شمال عكا إلى جبل الكرمل وعتليث، بينما تقرر إبعاد صور وبيروت عن الدخول في الهدنة^(٧١)، وكان موقع عثليث من هذه الهدنة مناصفة بين السلطان المنصور قلاوون والداوية حيث أكد ذلك ابن عبد الظاهر^(٧٢) قائلاً: ((وعتليث القلعة والمدينة ويساتينها ... مناصفة))^(٧٣)، كما اشترط السلطان على الصليبيين بان لا يحدد حصن وقلعة، أو يبني سور أو يحدد باستثناء حصن عثليث ومدينة عكا وصيدا^(٧٤) على أن تستمر الهدنة بين السلطان وولده وأولادهما وبين حكام مملكة عكا وصيدا وعتليث، ولا تتغير بتغير أو موت أحد ملوك الجهتين، ولا بتغير مقدم وتولية غيره، وحتى انقضاء هذه الهدنة كانت المهلة في ذلك أربعين يوماً بين الجهتين، وينادي يرجع كل واحد إلى وطنه،

ولا يمنع من السفر من قبل الجهتين، ولا تبطل بعزل أحد الجهتين، ومدة هذه الهدنة عشرة سنوات وعشرة شهور وعشرة ساعات^(٧٥).

ساد الهدوء بين الطرفين بموجب الهدنة المعقودة حتى سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، حيث توفي السلطان المنصور قلاوون، وخلفه ولده الأشرف خليل الذي قرر فسخ الهدنة من جانبه، مستغلاً حالة الضعف التي دبت في جسم الإمارات الصليبية^(٧٦) اثر فتح مدينة عكا بعد حصار من جهة البر والبحر^(٧٧) في يوم الجمعة جمادى الأولى ٦٩٠هـ/١٢٩١م^(٧٨)، الذي قرر مصير المدن والحصون الساحلية المتبقية، فأخليت اثر ذلك كل من مدينة صور التي استعصت على المسلمين فترة طويلة، ومنها توجه السلطان الأشرف نحو صيدا، فتم افتتاحها في ١٥ رجب / ١٤ تموز، كما تم فتح بيروت التي سلمت بالأمان في ٢٢ رجب / ٢١ تموز^(٧٩)، فضلاً عن قلعة جبيل التي فتحت، وأمر السلطان بتسوية قلعتها بالأرض كي لا يتسنى للصليبيين الاستفادة منها^(٨٠).

وفي السنة ذاتها توجه السلطان الأشرف نحو حيفا، وحررها دون أي مقاومة تذكر، وأشعل النار الأديرة الواقعة على جبل الكرمل، ولم يبق في حوزة الصليبيين في بلاد الشام سوى حصن عثليث وقلعة انطرسوس التابعتين للداوية، لذا عزم السلطان الأشرف على فتحهما وإنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام التي اغتصبوها ونهبوا خيراتها، ودمروا مقدساتها وبددوا ثرواتها^(٨١).

ما أن علمت القوات الصليبية المتواجدة في كل منهما والمتكونة من فرسان الداوية بتقدم السلطان نحو حصونهم حتى سعوا جاهدين من اجل التصدي له، ومقاومته عن طريق الاعتصام في داخل هذه القلاع، إلا أن هذه الحاميات أدركت في نهاية الأمر أنها ليست بالمستوى الذي يؤهلها لمواجهة الحصار الذي يفرضه السلطان عليها^(٨٢)، فتخلت حامية انطرسوس عن قلعتها، فدخلتها القوات المملوكية في ٥ شعبان ٦٩٠هـ/٣ آب ١٢٩١م^(٨٣)، فلما رأى الداوية من سكان حصن عثليث خلو الساحل الشامي من عباد الصليب من الصليبيين، بادروا إلى اتباع سياسة الأرض المحروقة والتخريب، فاحرقوا المحاصيل والمزارع المحيطة بالحصن، لكي لا يتركوا أي شئ يمكن للقوات المملوكية الاستفادة منه والتقوي به، وهربوا جميعاً عن طريق البحر، فدخله المسلمون عنوة في ٦

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

شعبان ٦٩٠ هـ/٤ آب ١٢٩١م^(٨٤). أما بقايا الداوية من الصليبيين فلم يعد في حوزتهم سوى الحصن الواقع في جزيرة ارواد^(٨٥)، التي التجئوا إليها بعد هروبهم من انطرسوس وحصن عثليث، إذ ظلوا محافظين على هذا الحصن اثني عشر سنة أخرى، ولم يغادروا الجزيرة إلا في سنة ٧٠٢ هـ/٣٠٣م^(٨٦)، عندما فتحها المسلمون بعد حصار دام يوماً كاملاً، وقتل فيها من الصليبيين نحو ألفين، واسروا منهم خمسمائة أسير اقتيدوا إلى دمشق^(٨٧).

وبفتح حصن عثليث الذي كان له دوراً كبيراً من خلال استخدامه كقاعدة صليبية لمهاجمة بلاد الشام في الحقبة المتأخرة من عصر الحروب الصليبية، ولفترة تزيوا على النصف قرن . بلغت خمسة وسبعون عاماً . لم يبق للصليبيين على ساحل البحر أي وجود^(٨٨)، وُطهرت بلاد الشام من الوجود الصليبي بشكل نهائي، ثم عاد السلطان الأشرف خليل بعدها إلى القاهرة، وأقيمت مراسم الاحتفال ابتهاجاً بهذه الفرحة العظيمة والنصر الباهر، وهكذا كان حصن عثليث آخر معقل صليبي في بلاد الشام استسلم للمسلمين بعد استسلام الصليبيين بالشام وخروجهم منها.

هوامش البحث

- (1) Mohammed Hussein , The Imperialistic Elements Of The Crusades (Speculum: 1981): 1 /487.
- (٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية (القاهرة: ١٩٦٣م): ١١٤٥/٢؛ وينظر: محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة (الإسكندرية: ١٩٧٨م).
- (٣) يوسف بن رافع بن تميم بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: ١٩٦٤م)، ص ٢٤٦؛ احمد بن إبراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد (بغداد: ١٩٧٨م)، ص ١٧٩.
- (٤) عمران، الحملة، ص ١٤٣.
- (٥) ارنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ط ٢ (بيروت: د. ت.)، ص ١٠٥.
- (٦) قيسارية: بلدة تقع على ساحل البحر المتوسط، وهي من أعمال فلسطين وبينها وبين طبرية مسيرة ثلاثة أيام. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (معجم البلدان (بيروت: ١٩٧٥م): مج ٤ / ٤٢١.
- (٧) جبل الكرمل: هو الجبل المشرف على مدينة حيفا بسواحل الشام. ينظر: نفسه: مج ٤ / ٤٥٦.
- (٨) عاشور، الحركة: ١١٤٥/٢.
- (٩) ستيفن رنسيومان، تاريخ الحروب، ترجمة الباز العريني (بيروت: ١٩٦٨م): ٢٦٦/٣؛ W. Stevenson, *The Crusaders in the East* (Cambridge: 1943), P. 303.
- (١٠) معجم البلدان: مج ٤/٨٥؛ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: ١٩٥٤م): ٩٢٠/٢.
- (١١) الداوية: نشأة هيئة الداوية منذ بدايات تأسيسها على أساس عسكري حربي، ويرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٩م عندما وضع أساسها فارس فرنسي يدعى

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

هيودي باينز، وقد اختار هذا الفارس جزء من هيكل سليمان في المسجد الأقصى ليكون مقراً لهيئته، ومن ثم أطلق على أتباعه اسم فرسان المعبد، التي حرفت في اللغة العربية إلى الداوية، ولم تلبث أن تبلورت، واتخذت طابعها الخاص، وأصبح لها دوراً كبيراً في الحروب الصليبية. ينظر: دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة (بغداد: ١٩٧٦م)، ص ٨٠ . ٨١ ؛
R. Grousset , A Histories des Croisades etdu Royaume , Franc de Jerusalem (Paris: 1934): 1/542.

- (١٢) رنسيان، تاريخ الحروب: ٣ / ٢٦٦ ؛
Stevenson, The Crusaders, P. 303.
- (١٣) معجم البلدان، مج ٤ / ٨٥.
- (١٤) محيي الدين بن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل (القاهرة: ١٩٦١م)، ص ٤٠.
- (١٥) الاسبتارية: أطلق المؤرخون العرب المسلمون لفظ الاسبتارية على جمعية الفرسان الهوسبتاريين (*Hospitiliers*) التي يرجع تأسيسها إلى سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م على يد (*Blesse Agerard*)، تقي الدين أبي العباس احمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: ١٩٧٥م): ج ١ / ق ١ / هامش ٤ / ٦٨.
- (١٦) دمياط: مدينة مصرية قديمة تقع بين تنيس ومدينة مصر على رابية البحر الروم [البحر المتوسط] والنيل، وهي ثغر من ثغور الإسلام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج ٢ / ٤٧٢.
- (١٧) عمران، الحملة، ص ١٩٢.
- (١٨) رنسيان، تاريخ الحروب: ٣ / ٢٦٩.
- (١٩) شمس الدين الذهبي، دول الإسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم (القاهرة: ١٩٧٤م): ٢ / ١١٧.
- (٢٠) عمران، الحملة، ص ٢٠٨.

- (٢١) شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بابي شامة، الذيل على الروضتين، ط٢ (بيروت: ١٩٤٧م)، ص ١٠٩.
- (٢٢) عمران، الحملة، ص ٢٠٨ . ٢٠٩.
- (٢٣) عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت: ١٩٧٩م): ٣٤٤/٥.
- (٢٤) عمران، الحملة، ص ٢٠٩.
- (٢٥) ابن خلدون، العبر: ٥ / ٣٤٤.
- (٢٦) عمران، الحملة، ص ٢٠٩.
- (٢٧) يوسف درويش غوانمة، امارة الكرك الأيوبية (الكرك: ١٩٨٠م)، ص ٢٠٤ . ٢٠٥.
- (٢٨) عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل، (بيروت: ١٩٦٦م): ٣١٦/٩.
- (٢٩) أبو شامة، ذيل، ص ١١٧ ؛ الذهبي، دول الإسلام: ١١٩/٢.
- (٣٠) أبو شامة، نفسه، ص ١١٧.
- (٣١) رنسيان، تاريخ الحروب: ٢٩٣/٣.
- (٣٢) عمران، الحملة، ص ٣٤٨.
- (٣٣) رنسيان، تاريخ الحروب: ٢٩٣/٣.
- (٣٤) عاشور، الحركة، ٩٦٩/٢.
- (٣٥) باركر، الحروب، ص ١٠٨.
- (٣٦) عمران، الحملة، ص ٣٤٨ . ٣٤٩.
- (٣٧) بينما يشير أبو شامة إلى أن ذلك تم في شهر جمادى الآخرة. ينظر: الذيل، ص ١٢٨.
- (٣٨) الذهبي، دول الإسلام: ١٢٣/٢.
- (٣٩) رنسيان، تاريخ الحروب: ٦٣١/٣.

(40) Fedden , Robin And John Thomson , *Crusader Castles* (London :1957), P. 93-95.

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

- (٤١) رنسيان، تاريخ الحروب: ٦٣١/٣.
- (٤٢) عاشور، الحركة: ١٠١٦/٢ ؛ باركر، الحروب، ص ١١٢.
- (٤٣) عاشور، الحركة: ١٠١٦/٢؛ رنسيان، تاريخ الحروب: ٢٣٧/٣؛
- Grousset , A historie des Croisades: 3 /320.*
- (٤٤) جمال الدين بن محمد بن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: ١٩٥٣): ٢٤٥/٣ ؛ المقرئزي، السلوك، ج ١/ق ١/ ٢٢٠.
- (٤٥) عاشور، قبرص والحروب الصليبية (القاهرة: ١٩٥٧م)، ص ٤٧ ؛
- Cambridge Medieval History (Cambridge: 1966): 6 /147.*
- (٤٦) الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٧٥.
- (٤٧) المقرئزي، السلوك: ج ١ / ق ٢/٤٣٦.
- (٤٨) المقرئزي، نفسه: ج ١/ق ٢/٥١٣ ؛ بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين (القاهرة ١٩٨٧م): ١/٤٢٢.٤٢٣.
- (٤٩) ارسوف: مدينة على ساحل بحر الشام [البحر المتوسط] بين قيسارية ويافا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج ١ / ١٥١.
- (٥٠) رنسيان، تاريخ الحروب: ٥٤٦.٥٤٥/٣.
- (٥١) عاشور، الحركة: ١١٤٥/٢.
- (52) M. C. Lyonz, Ayyubids, Mamlukas and Crusaders (Cambridge: 1971): 1/82.
- (٥٣) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر (الرياض: ١٩٧٦م)، ص ٣٣٤ ؛ المقرئزي، السلوك: ج ١ / ق ٢ / ٢٢٧ - ٢٢٨.
- (٥٤) الذهبي، دول الإسلام: ١٦٨/٢.
- (٥٥) أبو محمد عبدا لله بن اسعد بن علي اليمني الياضي، مرآة الزمان وعبر اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (بيروت: ١٩٧٠م): ٤/ ١٦١.

(٥٦) رنسيما، تاريخ الحروب: ٥٤٦/٣.

(٥٧) عاشور الحركة: ١١٤٥/٢.

(58) Lyonz , Ayyubids , : 1/89.

(٥٩) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٣٤؛ المقريزي، السلوك: ج ١ / ق ٢ / ٥٤٥.

(٦٠) رنسيما، تاريخ الحروب: ٥٥٦/٣.

(٦١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٣٣٤.

(٦٢) حصن الأكراد: حصن منيع حصين على الجبل يقابل حمص من جهة الغرب، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان، ويقع بين بعلبك وحمص. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج ٢ / ٢٦٤.

(٦٣) الذهبي، دول الإسلام: ١٧٢/ ٢.

(٦٤) حصن المرقب: بلد وقلعة حصينة تشرف على بحر الشام [البحر المتوسط] وعلى مدينة بانياس، بالقرب من جبلة، وتم بناء هذا الحصن سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م على يد المسلمين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج ٥ / ١٠٨.

(٦٥) رنسيما، تاريخ الحروب: ٥٨٩/٣.

(٦٦) أبو بكر بن عبد الله بن ابيك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: اورلخ هارمان (القاهرة: ١٩٥٧ م): ١٦٦.١٦٥/٨.

(٦٧) الذهبي، دول الإسلام: ١٧٩/٢.

(٦٨) قطب الدين موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان (الهند: ١٩٦٠ م): ٢٣٣/٣.

(٦٩) ابن عبد الظاهر، تشریف، ص ٢١٣ . ٢١٤؛ احمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: ١٩٨٧ م): ٥٧/١٤.

(٧٠) القومون: هو مجلس حكم تكون له السلطة والسيادة العليا في أي إمارة أو مملكة، ويتكون من نبلاء المدينة وأعيانها وأمرائها، ويؤسس هذا المجلس عندما تكون الإمارة

حصن عثليث : بناؤه ودوره في الحروب الصليبية

د. فتحي سالم حميدي اللهيبي

أو المملكة تحت الوصاية أو عند خلع الأسرة الحاكمة فيها. ينظر: فتحي سالم اللهيبي، مملكة أرمينية الصغرى (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل: ٢٠٠٠م)، ص ٩٦.

(٧١) رنسيما، تاريخ الحروب: ٣ / ٦٦٥.

(٧٢) تشريف الأيام، ص ٤١.

(٧٣) إلا أن المؤرخين الغربيين المحدثين أشاروا إلى رواية لم نعثر على مصدرها، وهي أن منطقة جبل الكرمل مناصفة، وعتليث تكون لها ثلاث قرى والباقي مناصفة.

ينظر:

Lyonz , Ayyubids , : 1/165.

والرواية التي أوردها ابن عبد الظاهر هي الأصح لأنه أقدم زمنياً من هؤلاء المؤرخين، فضلاً عن إشارة مؤرخين قداماء آخرين إليها. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشا: ١٤ / ٦٧؛ المقرئزي، السلوك، ج ١ / ٣ ق / ٩٩٥ - ٩٩٦، ولكن بعد الرجوع إلى ابن عبد الظاهر، فإننا وجدنا أن هذا البند قد ذكر ضمن معاهدة الصلح بين السلطان الظاهر وملك عكا في سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م. ينظر: الروض الزاهر، ص ٣٣٤. وبذلك يمكن القول بأن هؤلاء المؤرخين الغربيين قد خلطوا بين المعاهدة المعقودة بين السلطان الظاهر بيبرس وملك عكا الصليبي، وبين المعاهدة المعقودة بين السلطان المنصور قلاوون والصليبيين في سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م.

(٧٤) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص ٤٢؛ القلقشندي، صبح الاعشا: ١٤ / ٦٧؛ المقرئزي، السلوك: ج ١ / ٣ ق، ٩٩٦.

(٧٥) المقرئزي، نفسه، ج ١ / ٣ ق / ٩٩٦ - ٩٩٧.

(٧٦) رنسيما، تاريخ الحروب، ج، تاريخ الحروب: ٣ / ٧١٢؛ زيتر ستين، تاريخ

سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس (لیدن: ١٩١٩م)، ص ٨.

- (٧٧) كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافع في المائة السابعة، تحقيق مصطفى جواد (بغداد: ١٩٥٥م)، ص ٤٧٠؛ الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر (بيروت: ١٩٦١م): ٧ / ٣٢.
- (٧٨) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: د. ت. د.): ٨ / ١٠.
- (٧٩) محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاؤون (مصر: د. ت. د.)، ص ٢٢٥؛
D. M. Lang, *Armenia Cradle Of Civilization* (London: 1970), P. 203.
- (٨٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٨ / ١٠.
- (٨١) عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢ (القاهرة: ١٩٧٦م)، ص ٧٦.
- (٨٢) رنسيان، تاريخ الحروب: ٣ / ٧١٢.
- (٨٣) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري المعروف بشيخ الريوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، باعثناء: *Al Heren* (لا بيزك: ١٩٢٣م)، ص ٢١٣؛ المقرئزي، السلوك: ج ١ / ق ٣ / ٥٦٥.
- (٨٤) الياضي، مرآة الجنان: ٤ / ٢٠٩؛ ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام، ص ٢٧٢؛ أبو اليمن مجير الدين الحنبلي العليمي، الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل (النجف: ١٩٦٨م): ٢ / ٨٩٨؛ اسطفانوس الدويهي، تاريخ الأزمنة (بيروت: ١٩٥١م)، ص ١٥١.
- (٨٥) ارواد: جزيرة صغيرة تقع في الجهة الشمالية من طرابلس الشام وعلى بعد خمسين كيلومتر عنها، والى جنوب غرب انطرسوس، وعلى بعد ثلاث كيلومترات عنها، طولها ٨٠٠م وعرضها ٥٠٠م وفيها حوالي ٨١٠ بيت، ويسكنها حوالي ٤٠٥٣ نسمة تقريباً ومعظمهم من المسلمين في الوقت الحالي. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ٨ / ص ١١ / هامش ١.
- (٨٦) رنسيان، تاريخ الحروب: ٣ / ٧١٢.
- (٨٧) الذهبي، دول الإسلام: ٢ / ٢٠٧؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ١٦٠.
- (٨٨) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٤٧؛ المقرئزي، السلوك: ج ١ / ق ٣ / ٥٦٥.